

# عَبَّاسُ بْنُ فِرْنَاسٍ الطَّيَّارُ الْأَوَّلُ

سَأُرْوِي لَكُمْ حِكَايَةً جَمِيلَةً عَنِ الطَّيَّارِ الْأَوَّلِ فِي التَّارِيخِ، وَأَسْمُهُ عَبَّاسٌ، وَأَسْمُ أَبِيهِ فِرْنَاسٌ. أَيُّ إِنَّ أَسْمَهُ عَبَّاسُ بْنُ فِرْنَاسٍ.

لَقَدْ كَانَ عَبَّاسٌ عَالِمًا وَمُخْتَرِعًا وَشَاعِرًا فِي آنٍ (1) مَعًا. عَاشَ قَبْلَ أَكْثَرِ مَنْ أَلْفِ وَمِائَتَيْ عَامٍ فِي مَدِينَةِ قُرْطَبَةَ فِي الْأَنْدَلُسِ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِأَسْمِ إِسْبَانِيَا. كَانَتْ الطُّيُورُ تُثِيرُ أَهْتِمَامَ عَبَّاسٍ وَهِيَ تَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ، فَأَحَبَّ عَبَّاسُ الطُّيُورَ وَطَيْرَانَهَا، وَتَمَنَّى لَوْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَلِّدَهَا وَيَطِيرَ مِثْلَهَا.

كَانَ أَهْلُ بِلَادِهِ يَصِفُونَهُ بِأَنَّهُ حَكِيمٌ الْأَنْدَلُسِ، وَقَدْ فَكَّرَ ابْنُ فِرْنَاسٍ مَرَّةً بِفِكْرَةِ عَجِيبَةٍ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهَا أَحَدٌ، وَهِيَ أَنْ يَطِيرَ مِثْلَ الطُّيُورِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي تُحَلِّقُ فِي الْفُضَاءِ. لَكِنَّ عَبَّاسًا لَمْ يَقُمْ بِتَجْرِبَةِ الطَّيْرَانِ إِلَّا بَعْدَ تَفْكِيرٍ وَبَحْثٍ وَدِرَاسَةٍ. وَلَوْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَاضِي كَثِيرًا، لَرَأَيْنَاهُ وَهُوَ يَشْرَحُ فِكْرَتَهُ لِتَلَامِيذِهِ، وَالتَّلَامِيذُ مِنْ حَوْلِهِ مُسْتَعْرِبُونَ مُتَعَجِّبُونَ مِنْ هَذِهِ الْفِكْرَةِ الْغَرِيبَةِ وَالْعَجِيبَةِ. عِنْدَمَا قَرَّرَ عَبَّاسُ الْقِيَامَ بِتَجْرِبَةِ الطَّيْرَانِ قَرَّرَ أَنْ يُنْفِذَهَا بِنَفْسِهِ، مُؤْمِنًا

بِنَجَاحِهَا. وَلَوْ عَادَ بِنَا الزَّمَنُ لَشَاهَدْنَا أَيضًا الْعَالِمَ عَبَّاسًا بِنِ فِرْنَائِسِ، وَقَدْ جَمَعَ تَلَامِيذَهُ وَعَدَدًا كَبِيرًا مِنْ أبنَاءِ قُرْطُبَةَ لِيَشْهَدُوا هَذِهِ التَّجْرِبَةَ الْخَطِرَةَ.

لَمْ يَطْلُبْ عَبَّاسٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ -وكانوا كَثْرًا- أَنْ يَحِلَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَكَانَهُ، عِلْمًا أَنَّ الْعَشْرَاتِ مِنْهُمْ كانوا مُسْتَعِدِّينَ لِذَلِكَ. لَكِنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ بِهَذَا حَتَّى لَا يُعْرَضَ أَحَدًا مِنْهُمْ لِلْخَطَرِ، مَعَ ثِقَتِهِ بِنَجَاحِ التَّجْرِبَةِ.

وَأَمَامَ جَمْعِ كَبِيرٍ مِنْ أبنَاءِ قُرْطُبَةَ، وَقَفَ عَبَّاسٌ عَلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ جِدًّا، بَعْدَ أَنْ غَطَّى جَسَدَهُ بِرِيشٍ مِثْلِ رِيشِ الطَّيُورِ، وَصَارَ يَبْدُو (1) وَكَأَنَّهُ طَيْرٌ ضَخْمٌ. اسْتَعَدَّ عَبَّاسٌ جَيِّدًا وَأَسْتَجْمَعَ قُوَاهُ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ تَمَامًا كَمَا تَرْفَعُ الطَّيُورُ أَجْنِحَتَهَا، ثُمَّ قَفَزَ مِنْ مَكَانِهِ الْمُرْتَفِعِ. قَفَزَ عَبَّاسٌ مَسَافَةً ثُمَّ وَقَعَ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ طَيْرَانُهُ إِلَّا لِثَوَانٍ مَعْدُودَةٍ، وَفَشِلَ فِي تَحْقِيقِ حُلْمِهِ الْكَبِيرِ.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، كُلَّمَا رَكِبَ النَّاسُ الطَّائِرَةَ يَتَذَكَّرُونَ قِصَّةَ عَبَّاسِ بْنِ فِرْنَائِسِ الَّذِي أَضَاءَ لَهُمْ فِكْرَةَ الطَّيْرَانِ، وَالَّتِي أَصْبَحَتْ فِي عَصْرِنَا الْحَالِيِّ مِنْ أَهَمِّ وَسَائِلِ النَّقْلِ فِي الْعَالَمِ.

رَحِمَ اللَّهُ عَبَّاسًا الَّذِي أَصْبَحَتْ قِصَّتُهُ حِكَايَةً تَرْوِيهَا الشُّعُوبُ، حَتَّى أَنْ الْعُلَمَاءَ أَطْلَقُوا عَلَى مَوْقِعِ فِي الْقَمَرِ اسْمَ (فُوَهَةَ عَبَّاسِ بْنِ فِرْنَائِسِ).

حكايات عربية، د. طارق البكري.